

التحولات العمرانية ودورها في تهميش الانسجة العمرانية القديمة «القصور» في اقليم واد ريغ بالجنوب الشرقي الجزائري

[Urban transformations and their role in the marginalization of the old urban fabric «Ksour» in Oued Righ province in the southeastern Algerian]

Abdelatif Louafi¹ and Salah Bouchemal²

¹PhD student at the institute of management and urban techniques, University Larbi ben Mhidi, Oum el Bouaghi, Algeria

²Professor of higher education at the institute of management and urban techniques, University Larbi ben Mhidi, Oum el Bouaghi, Algeria

Copyright © 2020 ISSR Journals. This is an open access article distributed under the *Creative Commons Attribution License*, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.

ABSTRACT: This research aims to study the effect of the modern urban transformations of the desert city on its ancient cultural heritage, which is the desert palaces located in the province of valley of Righ, and this is what the latter showed of climate adaptation and interdependence with its environment represented in the oasis, forming an identity of the desert city, which began to disappear in front of the urban development that the region knows.

To achieve the aim of the research, the researchers began to study the remaining of these palaces, and by drawing on old plans and pictures in addition to examining the reality that came to it today. Values The most important conclusions were represented by the fact that the socio-economic transformations around the population's concern for them, not to mention that the urban interventions on them came late and without experience, reflecting the country's orientation to a comprehensive urban development and away from sustainability.

KEYWORDS: Oued Righ, Ksour, urban transformations, identity, sustainability.

ملخص: يهدف البحث الى دراسة اثر التحولات العمرانية الحديثة للمدينة الصحراوية على موروثها الثقافي القديم والمتمثل في القصور الصحراوية والواقعة في اقليم واد ريغ، وهذا لما اظهره هذا الاخير من تاقلم مناخي وترابط مع بيئته المتمثلة في الواحة، مشكلا هوية للمدينة الصحراوية، والتي اخدت في الزوال امام التطور العمراني الذي تعرفه المنطقة.

وتحقيقا لهدف البحث باشر الباحثان الى دراسة ما تبقى من هذه القصور، وبالاعتماد على مخططات وصور قديمة بالاضافة الى معاينة الواقع الذي الت اليه اليوم، ومن جهة ثانية تم الافادة من القوانين والسياسات العمرانية للبلاد، وهذا بحثا في اسباب التهميش والتدهور الذي آل اليه هذا الموروث الثقافي القيم ولقد تمثلت اهم الاستنتاجات كون ان التحولات الاجتماعية والاقتصادية حول اهتمام السكان عنها، ناهيك على ان التدخلات العمرانية عليها جاءت متاخرة وبدون خبرة بما يعكس توجه البلاد الى تنمية حضرية شاملة وبعيدة عن الاستدامة.

كلمات دلالية: واد ريغ، القصور، التحولات العمرانية، الهوية، الاستدامة.

1- مقدمة

لقد كان اهتمام العديد من دول العالم تحسين اقتصادها وتنميتها، حتى تتمكن من تحسين وتطوير المدينة، لكي تتجاوب مع التحولات الاقتصادية والعمرانية المختلفة، كما عمدت الى تنويع اقتصادها حتى تساير التغيرات الاقتصادية والمعطيات البيئية التي يعرفها العالم، من هذا المنظور اتجهت بعض الدول الى تنمية السياحة بمختلف انواعها، وذلك بالاعتماد على الامكانيات السياحية المادية والمعنوية او ما يعرف بالسياحة الثقافية. وهذا نظرا لما حققته بعض الدول من نمو

اقتصادي كنتيجة لذلك، ومن بين اهتمامات السياحة الثقافية هو الاهتمام بالتراث المادي، حيث تعد المباني والاحياء القديمة عنصرا هاما فيه، والتي تعبر عن بصمة للسكان الاصليين وثقافتهم، وصلة بين القديم والحديث.

عقب الاستقلال ورثت الجزائر وضعية مزرية من الناحية الاقتصادية والعمرانية، ناهيك عن نقص الخبرات في مختلف الميادين، فكان اهتمامها الاول تحسين المستوى المعيشي- للسكان من خلال مخططات تنمية تهدف لتقوية البنية الاقتصادية للبلاد، والتي كانت في غالب الامر تعتمد على تموين من عائدات البترول بنسبة كبيرة جدا قاربت 96%، ونظرا للتقلبات الاقتصادية تولد وعي لدى المسيرين بضرورة التنوع الاقتصادي، فكان من بين الاتجاهات المتبناة الاهتمام بالسياحة بمختلف انواعها، وخاصة ان البلاد تمتد على مساحة كبيرة جدا فاقت المليونين كيلومتر مربع، تضم اقليم طبيعية واسعة ومتنوعة، اكبرها اقليم الصحراء والذي عمره الانسان منذ القدم على الرغم من قساوته. وتعد الانسجة العمرانية المسماة بالقصر- مثلا لذلك، وهي تنتشر في الجنوب الجزائري خاصة في ولايتي ادرار وبشار وغرداية وورقلة والوادي، منها ما هي مؤهولة بالسكان واخر هجره الافراد، ولعل اهميتها كتراث عمراني تعكسها الافكار الابداعية والتصميمية لها، والتي رقت بعض منها ليصنف كتراث عالمي مثل قصر غرداية وبشار، بالرغم من ذلك لاحظنا الوضعية الكارثية التي تعيشها غالبية القصور من اهمال وتدهور من جهة، ومن جهة ثانية التحولات التي تعرفه قصور اخرى خاصة في الجهة الجنوبية الشرقية من البلاد والتي عرفت بمنطقة واد ريغ، اذ ينتشر بها بعض القصور التي تعد شاهدا على تاريخ المنطقة، وربما لو احسن التعامل معها من حفاظ وترميم قد يبعث او يولد حركة سياحية بالمنطقة.

هناك العديد من البحوث التي تناولت الخصائص التصميمية لمدن الجنوب مثل مدينة غرداية ادرار...، أما فيما يخص قصور المنطقة الجنوبية الشرقية تعد قليلة بالرغم من بقاء معالمها وأثارها، ليس هذا فحسب بل هناك عدة عمليات والتي جاءت في شكلها تهتم بها من عمليات ترميم عمراني لها أو أجزاء منها. جاءت هذه الورقة البحثية لتتناولها، وهذا بالاعتماد على المنهج التاريخي لطرح مختلف التحولات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، وكذلك المنهج التحليلي الوصفي لتناول عمق اشكالية تدهورها، كما يهدف الموضوع الى التعريف بهذا التراث العمراني وازداد اهميته بما يمكن من جلب انتباه المعنيين بضرورة ايجاد حلول مناسبة للحفاظ عليه، وكذا ادراج العينات التي حافظت على معالمها ضمن التراث الوطني أو حتى العالمي، وهو الامر الذي قد يدفع ويهيئ السياحة في المنطقة.

2- الالهية التاريخية والجغرافية لمنطقة واد ريغ

مجال البحث يقع تحديدا في الركن الشمالي الشرقي للصحراء الجزائرية، وتعد جزء من الصحراء الكبرى التي تبده مشارفها من هوامش الهضاب العليا شمالا الى غاية الأطلس الصحراوي جنوبا، هذا الامتداد الواسع المسطح المتكون أساسا من الحمادات والعروق . يمتد اقليم واد ريغ على شريط ضيق طوله يقارب 150 كلم وبمساحة تقارب 6400 كلم2 ابتداء من حواف شط مروان وملغيغ وينتهي جنوبا عند قرية قوق، تنتشر به العديد من القرى والمدن كجامعة، المغير وتقرت عاصمة الاقليم واكبرها، كما تتوزع به العديد من الواحات والتي يتجاوز عددها الاربعة، ولقد سميت المنطقة بالزاب الصغير في معجم البلدان لياقوت الحموي، أما حسب كتب التاريخ لابن خلدون فان الرواية دوي الجذور البربرية الامازيغية يعدون السكان الأصليين، ومنها جاء اسم واد ريغ نسبة إلى قبيلة ريغة، وهي أحد فروع قبيلة زناتة الكبرى، التي أقامت بالمنطقة القرن 15 ميلادي (ابن خلدون، 2004) في حين يذهب بعض المؤرخون وحسب بعض الحفريات إلى تواجد الإنسان بها إلى ما قبل 3000 سنة قبل الميلاد.

اقليم واد ريغ يسوده المناخ الصحراوي الجاف، وهو عبارة عن مزيج من التضاريس الرملية والاراضي المستوية تتخللها بعض السبخ، عمره الانسان منذ القدم لوفرة المياه به، والتي تظهر في شكل سبخ وبحيرات صغيرة، ناهيك عن مياهه الباطنية العميقة، ويمتد فوق من اكبر الاحتياطات المائية الجوفية في الجزائر، القريبة من السطح والتي استغلها الانسان من خلال حفر الابار، وهو الامر الذي مكن من انتشار الزراعة وخاصة النخيل محولا هذه المنطقة الى واحات، عملت على استقرار القبائل الرحل بها وعلى طول طريق تجاري قديم عرف بطريق الذهب، اما اليوم فيمر عبرها الطريق الوطني رقم 03، والذي يعد من بين اهم الطرق الوطنية التي تمتد من شمال الى جنوب البلاد.

عرفت منطقة واد ريغ فتوحات إسلامية في أواسط القرن السابع للميلاد، وهذا بعد وصول الفاتح عقبة بن نافع إلى مدينة بسكرة، من بعدها أرسل وفودا فاتحة إلى منطقة واد ريغ، ليتوالى عليها فيما بعد وصول الاباضيين ثم الهلاليين فالعثمانيين... فأشادوا فيها القصور وزرعوا فيها واحات النخيل لوفرة مياهها.

3 - القصر الموروث العمراني لمنطقة واد ريغ

تعرف منطقة واد ريغ حراكا عمرانيا سريعا، يتجلى في التوسع الكبير الذي تعرفه العديد من المدن والقرى، وما تشهده من تحولات عمرانية، تظهر تنوعا معماريا وتطورا عمرانيا، لكنه لا يختلف في العديد من الاحيان عن مثيلاتها من باقي مدن البلاد، بالرغم من الاختلاف المناخي والطبيعي. لا تزال تنتشر بالمنطقة عدد معتبر من الانسجة العمرانية القديمة، الكثير منها عبارة عن اثار وبعضها في حالة متدهورة وقلة منها مأهولة بالسكان، وهي انسجة عمرانية عرفت باسم القصر.

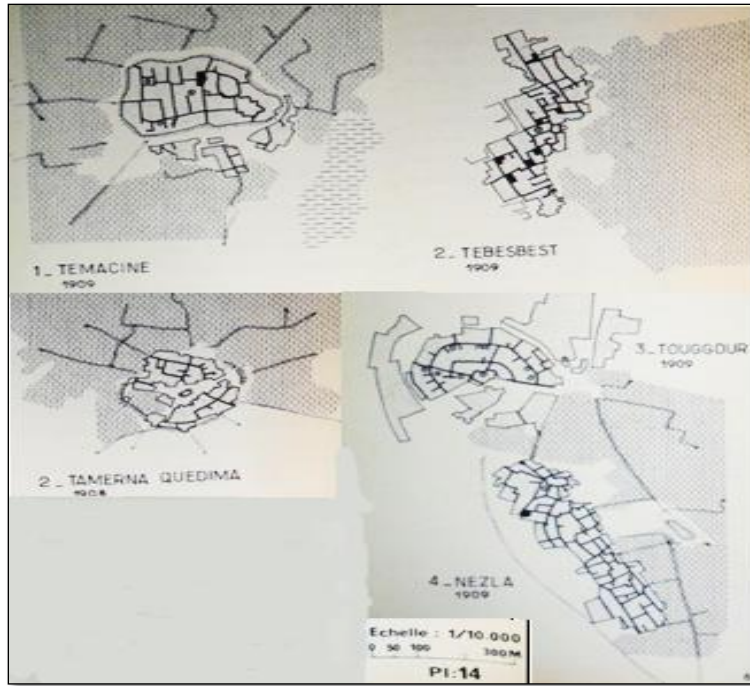
القصر- عبارة عن كتلة من المباني المتجانسة والمحصنة بأسوار عالية لتأمينها من الهجمات الخارجية، عموما تكون مجاورة او ربما محاطة بواحات النخيل، بنيت بالحجارة او الطوب المشكل من تراب المنطقة مما يكسبها لونا طبيعيا، كما تستعمل غالبية مواد بنائها من مواد محلية من طين وجدوع النخيل وغيرها، به ابواب رئيسية تفتح على الواحات، مع ترك باب احتياطي لا يفتح الا عند الحاجة الملحة او عند الحرب، ولقد انتشر هذا النوع من المباني التقليدية في جنوب المغرب وفي الصحراء الجزائرية. عبر عنه كوت بانه مجموعة بنايات لها شكلها الخاص، وانها عبارة عن مجموعة اجتماعية لها تاريخها ومكوناتها. (Cote, 2012)

ينتشر بالمنطقة العديد من القصور نذكر منها قصور تماسين، مستاوة، النزلة، تبسبست الزاوية العابدية، تمرنة القديمة، اوغلانة "جامعة القديمة"، سيدي يحيى، سيدي خليل..... البعض منها ما يزال يحافظ على بعض المباني في حالتها الفيزيائية المتوسطة، كما عرفت بعض القصور ترميمات عمرانية تهدف إلى الحفاظ عليها وكذا إدراجها في الإمكانات السياحية للمنطقة، كونها تعبر عن هوية السكان الأصليين للمنطقة، لذلك وقبل التطرق إلى مختلف عمليات التدخل على هذه الانسجة التقليدية والحالة الإنشائية لها، سنتناولها بالبحث متطرقين إلى إبراز مختلف قيمها العمرانية والتصميمية.

4- القيم التخطيطية لقصور واد ريغ

لقد أشار العديد من الباحثين إلى جملة من العناصر التخطيطية والمظهر العام للمدينة العربية مثل ما ورد في كتاب المدينة الإسلامية، وكذا الكتاب التراث الحضاري للمدن العربية المعاصرة وغيرها من المراجع والتي تجمع على تواجد عناصر مشتركة بين المدن العربية الإسلامية مثل تواجد المساجد الرحبات نمط الشوارع والممرات... أين يكون التشريع الإسلامي هو العامل الرئيسي في تخطيطها، وعلى ضوء ذلك تطرقنا إلى إظهار هذه الخصائص في قصور واد ريغ.

لقد أخذت بعض قصور واد ريغ الشكل الصدفي وخاصة القديمة جدا منها، على غرار قصور مستاوة وتمرنة القديمة وفي أنواع أخرى اقتربت من الشكل المستطيل والذي يمتد على طول الواحة المجاورة له، كما اختير الموقع وفق معايير اختيار المدن الإسلامية، عن أبو دوع: "إن أحسن مواضع المدن أن تجمع بين خمسة أشياء وهي النهر الجاري، المحراث الطيب، الحطب القريب، السور الحصين و السلطان..." ("عبد الستار، 1988)، وهو أمر تشترك فيه العديد من القصور، حيث نجدها تتموقع في مناطق غنية بالمياه السطحية والجوفية (تواجد البحور، حفر الآبار)، تتغذى من خلال طبقات شبه عميقة، في حين تعد الطبقة الفيبريائية الأكثر أهمية لسهولة استغلالها، مما سهل في ظهور مسطحات مائية عرفت باسم البحور مفردها بحر، وهي بحيرات صغيرة تتغذى من المياه السطحية، بالإضافة إلى ذلك تم حفر الآبار مند القدم، وهو ما أشار إليه لارغو في كتابه حيث ذكر هذه الآبار وشرح كيفية حفرها من طرف السكان الاصليين والتي قد يصل عمقها إلى ما يقارب 45 م في بعض الحالات، وذلك قبل ان تنتهج السلطات الفرنسية طرقا أكثر حداثة مكنت من حفر آبارا أكثر عمقا وصبيبا. (Largeau, 1881)



الشكل رقم 01: بعض اشكال قصور واد ريغ عام 1909 المصدر: Echallier 1968

بعد الاسلام مصدر السلطة التشريعية في القصر، والتي يعكف الاعيان على تطبيقها في تسييره وإدارة شؤون المجتمع، كما يعتبر المسجد مقرا لها، وهو النواة الاولى التي انطلق منها بناؤه في اغلب الحالات، اذ لا يزال شاهدا وقائما في اغلب القصور، وحتى التي زال الجزء الاكبر منها، ولقد شكلت المساجد العنصر الرئيسي والمهيكل لجميع قصور المنطقة، إذ لا تتوقع تواجد قصر من دونه، كما يمكن أن يتواجد أكثر من مسجد في القصر الواحد، حيث يتوسط مجال القصر، وهو يتميز عن البقية بمساحته وهندسته وربما حتى صومعته، نذكرها في الجدول التالي:

الجدول 01: اهم مساجد قصور منطقة واد ريغ المصدر: الباحث 2018

القصور	المساجد والزوايا
تمرنة القديمة	مسجد سيدي علي بن عثمان
مستاوة	المسجد الكبير، الزاوية الهاشمية
تماسين	مسجد با عيسى، القبّة الخضراء، المسجد الكبير (العتيق) مسجد سيدي الحاج عبد الله
سيدي خليل	مسجد سيدي خليل
الزاوية العابدية	مسجد سيدي لخضر، زاوية سيدي العابد
اورلان	سيدي علي المحجوبي
تبسبست	بها 7 مساجد اهمها: مسجد سيدي عمر، سيدي قاسم، سيدي الغفاري

تتميز مساجد قصور واد ريغ بالبساطة في التصميم، بنيت بمواد بناء محلية، كما نسجل بقاء العديد منها بالرغم من زوال بقية المباني، وهذا لحرص المواطنين عليها بدرجة أكبر حتى من منازلهم.



صورة رقم 01: المسجد العتيق بتقרת المصدر الباحث 2018

1-4 الرحبة

مكان يلتقي فيه السكان خلال المناسبات الكبرى والاحتفالات الاجتماعية والثقافية، كما تعد مكان للمبادلات التجارية، قد نجد في القصر أكثر من واحدة، وبالإضافة إلى أدوارها السابقة فهي تعمل على تهوية هذه الأنسجة المتراسة، كما تكفل عنصر المفاجأة الناتجة عن طول الطريق، تتميز بأشكالها غير منتظمة كونها تغلب الوظيفة عن الشكل وحتى عن الجمال لبساطة المباني المحيطة بها، عادة ما تكون بالقرب من المسجد او عند سور المدينة.

2-4 الشوارع والممرات

يتواجد بالقصر شبكة من الممرات والشوارع والتي تتميز بما يلي:

- تصميمها المتكيف مناخيا مع المنطقة بكسر الممرات تقليلا لحركة الرياح، وكذا تناوب الأجزاء المغطاة فيها بما يخلق مناطق مشمسة توفيراً للإنارة وأخرى مظلمة لإعطاء الظل، ومن جانب آخر لخلق تيار هوائي منعش.
- الشوارع الرئيسية تنتهي عادة عند العنصر المهيكل وهو المسجد كما تحدها الأبواب عند أسوار القصر.
- التواء الأزقة والممرات أتاح انفتاح الأبواب نحو الخارج بشكل غير متقابل مما خلق نوع من حرمة عند المداخل، ونلمس نوع من التدرج في تصميمها، اذ تلتقي الشوارع الرئيسية عند ساحة المسجد في حين ذلك الالتواء يكفل عدم الاستمرارية البصرية نحو داخل النسيج .
- تراص المساكن وتجاورها أتاح تنقل الأفراد الأقارب وخاصة النساء عبر السطوح وهو ما كفل الترابط الاجتماعي وخفف الحركة عن الممرات والأزقة الأرضية .
- بالنسبة للمسالك الفرعية عادة لا يتجاوز عرضها 2.5م، وهي تعكس نوع من الخصوصية كونها تستعمل من طرف العائلة او القبيلة الواحدة، تتخذ مسارات ملتوية أو مستقيمة وبنهايات محدودة في الغالب، وعموما يظهر أن شبكة المسارات المعقدة توجي بشكل المتاهة مما يحجم الغرباء عن دخولها، خالقة خصوصية في الأماكن السكنية.
- الدروب تكون بين المحاور الفرعية والمساكن، أما استعمالها فهو شبه خاص، بينما الأزقة فهي مسالك مسدودة النهاية تنتهي عند المسكن، وتكون متفرعة من الدروب وفي الغالب هي مغطاة.



الصورة رقم 02: إحدى البوابات المتبقية من قصر مستاوة المصدر: الباحث 2018

5- الخصائص المعمارية للقصر

لقد بنيت المساكن للتكيف مع الظروف المناخية ولخلق علاقات اجتماعية، فنجد المسكن يغلب عليه الجانب الوظيفي مع الأخذ بمبدأ الحرمة في بناءه، إذ تنفتح فتحات وأبواب الغرف نحو الفناء الداخلي له، في حين تقل أو تكاد تنعدم النوافذ الخارجية، ويتم الانتقال من الخارج إلى الفناء الداخلي (الحوش) عبر السقيفة، خالقا نوع من التدرج المجالي (فضاء عام- نصف عام- خاص). كما بني القصر من مواد محلية تتمثل في الطوب الطيني، الحجر الكلسي، الجبس... واستعملت جذوع النخيل كعوارض والخشب في صناعة الأبواب والنوافذ، بينما تميزت الجدران الخارجية بسمكها الكبير والذي يتراوح بين 0.50-0.80 م لتكون داعما قويا من جهة ولترفع من العزل الحراري من جهة ثانية.

6- التكيف المناخي للقصر

تبدي قصور منطقة واد ريغ نوعا من التأقلم المناخي، يعكس ذلك الشكل المترص، المسارات الضيقة المنكسرة والمغطاة، مواد البناء المستعملة ذات ناقلية حرارية ضعيفة مثل الحجر الطيني، الخشب الجبس... ليس هذا فقط بل حتى اختيار موقع القصور في وسط واحات النخيل، والتي تساهم في تلطيف جوه، وحمايته من الرياح الجنوبية الشرقية الساخنة، كما أن معظم المباني تتكون من طابقين الأرضي والعلوي، حيث يعمل هذا الأخير على تقليل التعرض للإشعاع الشمسي مما يلطف جو الغرف الأرضية، يستعمل في الصيف للنوم ليلا، وشتاءا للشمس وتجفيف الأطعمة، بالإضافة إلى ذلك يوجد الملقف أو المدخنة في اغلب غرفه والتي تستعمل للتدفئة ونصب الطعام، وكذا تمكن تهوية الغرف وإنارتها، كما ان سمك الجدران الخارجية الكبيرة ومواد بنائها يدعمان ذلك، في حين ارتفاع النوافذ والفتحات يعمل على خروج التيارات الهوائية الساخنة.

7- الأهمية التصميمية لقصور واد ريغ

يتميز القصر بالمركزية التي تجسدها توسط المسجد والرحبة في مركز النسيج، كما يعيدان عنصران مهمان لمختلف الأنشطة التجارية والاجتماعية والدينية والسياسية، يتخصص بالوظيفية لمختلف مكوناته وخاصة على مستوى المسكن والمرات، وهو الأمر الذي تميزت به المدينة العربية " إن تحقيق الأهداف الوظيفية للمباني في سهولة ويسر يكفلان تخطيط الشوارع والطرق، وهو الأمر الذي يحكمه المبدأ الإسلامي لا ضرر ولا ضرار..." (ابراهيم، 1968) أما التوزيع الوظيفي والذي يعد احد ميزات يمكن ملاحظته على قصور المنطقة، إذ نجد الوظيفة الدينية والسياسية بالمساجد، تحيط به الوظيفة السكنية، في حين الواحات المحيطة بالقصر تمثل الوظيفة الاقتصادية.

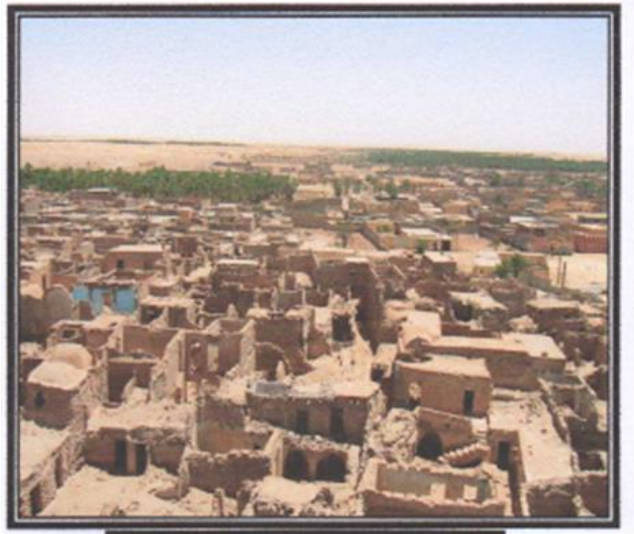
إن التمتع في تصميم المنازل وواجهاتها وكذا تصميم النسيج يعطي انطبعا واضحا عن تبني مبدأ الحرمة والتي تعد إحدى أساسيات المدينة الإسلامية، في هذا الجانب يصرح إبراهيم بن يوسف بان لكل فضاء حرمة تستوجب احترام حقوقها وتحديد شروط الارتفاق بها، كما تدعم الجدران الخارجية الحد الرمزي لحرمة الفراغ، فالجدران الخارجية للمسكن تعبر عن حرمة، وهو نفس الحال بالنسبة لأسوار القصور. (بن يوسف، 1992)

8- واقع قصور واد ريغ

آلت قصور منطقة واد ريغ إلى وضعية مزرية حالت دون الاستفادة من هذا الموروث الحضاري على العموم، ما عدا بعض الأجزاء القليلة كبعض المساجد، وهذا ما لمسناه من تراجع مساحة البعض منها إلى درجة كبيرة، في الواقع الامر بدأ منذ الفترة الاستعمارية حيث عمدت السلطات الاستعمارية إلى تهيمشها، حيث بلغ الامر إلى هدم اجزاء منها، على غرار ما وقع في قصر مستاوة، وذلك عقب الانتفاضة التي قام بها السكان الاصليين سنة 1871، وحولت إلى ساحة مفتوحة تهيكها مجموعة من الافواس المغطاة، ليس هذا فقط بل حولت بعض المساجد إلى مقر للحداثة أو أنشطة مختلفة (Echallier, 1968). وايضا عمد المستعمر إلى شق طرق بعيدة عن القصور ومد سكة للحديد، وكذلك بناء احياء سكنية بتخطيط اوربي يتبع الخطة الشطرنجية حتى يتمكن من مراقبة الافراد، ومزود بخدمات وتجهيزات جديدة من مدارس ومباني ادارية ودينية متمثلة في الكنيسة وغيرها... الامر الذي اعطى بداية تهيمش الانسجة القديمة.

عقب الاستقلال بقت العديد من القصور مأهولة بالسكان، وامام النمو الديمغرافي الكبير للسكان والتطور العمراني وظهور الانسجة الحديثة المتكونة من مباني فردية في الغالب تم بناؤها اما ذاتيا من طرف الافراد او السلطات، وبمواد حديثة ومغايرة عن السابق من استعمال الاسمنت والحديد والزجاج وغيرها ناهيك عن بدا انتشار الكهرباء، مفارقة سارعت في تدهور القصور، والتي دعمها العديد من الجوانب نوجزها فيما يلي :

- قدم مواد بناء القصر والتي لم تقاوم العوامل المناخية خاصة الأمطار، ومما زاد الطين بللا تعرض المنطقة لأمطار طوفانية سنة 1967 أضرت بغالبية القصور وهدمت أجزاء منها.
- تأثر القصور بظاهرة صعود المياه، وخاصة عقب انتشار الابار العميقة المسيرة بمضخات، مما رفع من مستوى المياه خاصة الواقعة منها في اماكن منخفضة، دعم الأمر مورفولوجية المنطقة المستوية في الغالب والمنخفضة ومما فاقم الامر انتشار الباعوض مهددا سكان القصور وخاصة الواقعة في وسط الواحة، بالمقابل واحات النخيل الواقعة في اماكن مرتفعة غار وابتعد الماء فيها مما هدها بالزوال وهدد القصور الواقعة بينها، فصعب الحياة بها وشجع السكان الى الرحيل عنها. (Nesson, 1973)
- القصر نسيج عمراني كثيف لا يترك مساحات شاغرة مما شكل عائقا أمام اتساع الأسر والرغبة في بناء مساكن أخرى، كما لم يمكن من استيعاب التجهيزات اللازمة والضرورية المستحدثة في نمط حياة السكان، في حين تموقع البعض الآخر داخل واحات النخيل جعل منها عائقا امام توسعه، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور تجمعات عمرانية بعيدة نسبيًا عن القصر، والتي بنيت وفق تصاميم مغايرة عنه.
- التغير في أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية الذي اشتد عقب 1970 اين ظهرت العديد من المهن والانشطة الاقتصادية والتجارية، والتي أدت الى اهمال العمل بواحات النخيل ركيزة تواجد واستمرار القصر، من هذا المنظور صرح موساوي ان حجم القصر واهمية مجاله المبني له علاقة بالواحة مصدر غذائه واستمراره، بضياها يزول، تموقعه وعلاقته بها قد تتيح له القدرة على التطور لاستقبال الزيادة الديموغرافية، وحتى تولد قصور اخرى جديدة مجاورة له (Moussaoui, 2002)، كما صاحب هذا الانفجار السكاني توزيع جديد للانشطة الاقتصادية خالقا بذلك حركة قوية من التصنيع والتحضر وخاصة في مركز الاقليم تقرت مغيرة بذلك من الوجه التقليدي للمنطقة (Bisson, 1979).
- التقدم العمراني والتكنولوجي أدى بهجرة معظم القصور مما حال دون استمرارها وجعلها تتعرض لعمليات تخریب.
- عدم وجود عمليات ترميم لمعظم القصور فيما بعض العمليات المحدودة مست مساجد في اغلبها.
- غياب الوعي لدى الهيئات والسلطات بالأهمية التنموية لمثل هذه الأماكن، وسعيها إلى إيجاد سياسات عمرانية تهدف إلى تحقيق العدد الأكبر من المساكن وفق منظور توفير سكن لكل مواطن، وهو الأمر الذي انعكس على نسيج القصر.



صورة رقم 03: الحالة المتدهورة لقصر تماسين المصدر الباحث 2018

جدول رقم 2: يبين اهم قصور منطقة واد ريغ المصدر: مديرية الثقافة لولاية ورقلة 2014

القصر	المساحة هكتار	سنة النشأة	تصنيفه	حالته
تماسين	12	/	قطاع محفوظ طبقا لاجتماع اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية في انتظار المرسوم التنفيذي	مرمم جزئيا
تمرنة القديمة	6	8 م	قطاع محفوظ	مرمم جزئيا
مستاوة	09	13 م	مسجل ضمن قائمة الجرد الاضافي للممتلكات الاضافية للولاية	بقي منه القليل
تبسيست	8.25	16 م	مسجل ضمن قائمة الجرد الاضافي للممتلكات الاضافية للولاية	تدخلات عشوائية
الزاوية	7.91	17 م	مسجل ضمن قائمة الجرد الاضافي للممتلكات الاضافية للولاية	دون المتوسط
المقارين	/	/	مسجل ضمن قائمة الجرد الاضافي للممتلكات الاضافية للولاية	دون المتوسط
تالة	/	/	مسجل ضمن قائمة الجرد الاضافي للممتلكات الاضافية للولاية	متوسطة
النزلة	9.25	15 م	مسجل ضمن قائمة الجرد الاضافي للممتلكات الاضافية للولاية	متوسطة
وغلانة	/	/	مسجل ضمن قائمة الجرد الاضافي للممتلكات الاضافية للولاية	متوسطة
جامعة	/	/	غير مصنف	اندثر
سيدي يحيى	/	/	غير مصنف	متدهور
سيدي خليل	/	/	غير مصنف	متوسطة

9- أهمية قصور واد ريغ

إن دراسة القصر كأحد نماذج المدن العربية مكن من تقديم العديد من الأفكار والدروس والتي يمكن تبنيها في مدننا المعاصرة الغربية عن عاداتنا و تقاليدنا وإمكانياتنا، نذكر ذلك في ما يلي:

- القصر درس في التنمية المستدامة وهذا من خلال ترشيد استهلاك المجال، بحيث غلبت الوظيفة على الشكل كما نلاحظ قلة الفراغ غير الوظيفي، كما ان إتباع أشكال متماسكة لم يمكن من ترك فراغات غير مستغلة وهذا سواء بين النسيج أو داخل السكن، ليس هذا فقط بل حتى في تصميم الطرق والممرات والتي تكون حسب الحاجة دون تبذير.
- القصر ومن خلال استعمال مواد بناء محلية يشجع على استعمال الإمكانات المحلية بشكل أكبر، ويكون وفق الحاجة، فمثلا بالنسبة لاستعمال جذور النخيل هي في الأصل لنخيل غير منتج أو قضي نخبه، ليوجه للاستعمال في البناء وربما حتى التدفئة وكذا في المنتجات الحرفية والتقليدية.
- تصميم المباني الذي يترك فناء داخليا أو يخلق ممرات تتناوب بين المغطاة والمفتوحة يقدم درسا في التعامل مع المناخ وهذا ما يعلمنا توفير الطاقة باستغلال الإمكانات الطبيعية قدر الإمكان، وهو أيضا إحدى أساسيات التنمية المستدامة
- قد يكون استعمال مواد بناء محلية بالصدفة، حيث كانت ذات اهمية واضحة في الحالة المناخية لكن التعامل في طريقة توظيفها كسلك الجدران مثلا أوحجم الفتحات لا يمكن أن يكون مجرد صدفة، مما يعطي تساؤلا عن أسرار وصول سكان القصر إلى ذلك.
- إن تغليب الوظيفة على الشكل أتاحت داخل القصر من بناء أماكن بأشكال ومساحات مختلفة رابطا بذلك بحجم الأسرة المستعملة له، لهذا فهو يعكس مبدأ السكن لمن يسكنه.
- إن سلطة القرار التي تعود إلى التشريع الإسلامي الموحد لسكان القصر، وقصد التحكم في نشأته خلق هذا الأخير بأحجام صغيرة حتى يمكن تسييره من جهة، ومن جهة ثانية إمكانية توحيد التصاميم خاصة العمرانية والخارجية، يستمد ذلك من تشابه الواجهات مثلا، كذلك تبني المنازل بارتفاعات موحدة حتى تعيق امتداد الرؤية بين الجيران.
- يكفل حقوق المجاورة فلا نجد باب جار تفتح مقابلة لجاره (احتراما له) ولا يعلو بناءه عنه، كما يكرس استمرار العلاقات الاجتماعية بينهم من خلال إمكانية التواصل على مستوى الأسطح.
- العلاقة التراتبية بين الفضاءات الداخلية والخارجية، وخلق وسائل للانتقال غير المباشر نفس الأمر يعطينا مبدأ التدرج في مجالات الممرات.

رغم الأهمية والدروس التي يمكن أخذها من القصور والتي بنيت وفق أفكار إسلامية يطرح تساؤلا حول غياب الاهتمام بهذه الأنسجة في الوقت الذي يعكف فيه الباحث الغربي في دراستها وحتى العمل بالعديد من أفكارها في تصاميمه الحديثة في هذا الصدد يمكن أن يكون هناك مخرجين أولهما ترميم القصور وهذا حسب الحالة والميزات في هذا الجانب أما ثانيها فهو إجراء بحوث معمقة حولها حتى يمكن استخراج مختلف الدروس منها ومحاولة ترجمتها على مستوى تطورنا العمراني والمعماري الحديث.

10- سياسات المحافظة على قصور واد ريغ

تضم منطقة واد ريغ العديد من القصور والتي يصنف بعضها إلى أقدم من قصبة الجزائر، لهذا نطرح تساؤلا جوهريا لماذا هناك اهتمام بأنسجة قديمة ذات خصائص إسلامية في مناطق وإهمال أخرى مثل ما هو الحال بالنسبة لقصور واد ريغ، وللإجابة على ذلك التساؤل بدانا بالبحث في الجانب التشريعي والذي يهتم بتصنيف المواقع الأثرية في البلاد والاهتمام بها، حيث قامت وزارة الثقافة سنة 1970 بإنشاء ورشة الدراسات والترميم والتي اعتبرت أول مؤسسة تعنى بالتراث

المبني، كانت مهامها تنحصر في اعلام وتحسيس المحيط بضرورة مشاركته في الحفاظ على التراث الحضاري، وكذلك تكوين مخزون وثائقي حول المواقع والنصب التاريخية المنتشرة في البلاد، كما عملت على استقبال وتاطير الباحثين وزوار المناطق التاريخية، وكذلك اهتمت بعمليات التهيئة والسهر على تامين المواقع الاثرية.

من اجل استمرارية القيم العمرانية والمعمارية للموروث الثقافي المادي بالبلاد صدر قانون حماية التراث الثقافي 98/04 والذي يهدف الى التعريف بالتراث الثقافي للأمم، و سن القواعد العامة لحمايته والمحافظة عليه وتثمينه، كما يضبط شروط تطبيقه بالتنسيق مع مختلف السلطات الادارية في المدينة، والذي تنص المادة 41 منه على حماية التراث التاريخي بوضعه في شكل قطاعات محفوظة المجموعات الحضرية او الريفية مثل القصبات والمدن والقصور والقرى والمجمعات السكنية التقليدية والتي تكتسي بتجانسها ووحدتها المعمارية والجمالية اهمية تاريخية او معمارية او فنية من شأنها ان تبرز حمايتها او اصلاحها او اعادة تأهيلها، كما تزود القطاعات المحفوظة بمخطط دائم للحماية والاصلاح يحل محل مخطط شغل الاراضي. وفي عام 2002 قام ديوان حماية وترقية التراث بوضع دفتر الشروط مستوحى من قوانين التعمير للمواقع التاريخية والتراثية، والذي يضم العديد من المعايير التي تهدف الى استدامة عمران المناطق المصنفة من خلال تصميم مخططات المنازل الجديدة مستوحى من النماذج القديمة، وكذا الحرص على استعمال المواد المحلية. مكنت هذه المبادرات والقوانين من تصنيف العديد من المواقع الاثرية ضمن التراث العالمي لمنظمة اليونسكو من بينها قصبه الجزائر سنة 1992، قصور واد ميزاب 1982... كما مكنت ايضا من القيام بالعديد من عمليات الترميم على المستوى الوطني ومنطقة واد ريغ على الخصوص، الا ان فعالية هذه المبادرات والقوانين بقت محدودة لمحدودية وسائل التدخل والمراقبة من جهة ومن جهة ثانية اشكاليات العقار المتعلقة بالملكية وحرية التدخل، كما استنتجنا ما يلي:

- عمليات الترميم لم تكن لمعظم القصور طبعا نظرا للحالة الفيزيائية التي آل إليها البعض
- تأخر أو ربما عدم تصنيف قصور المنطقة ضمن الإرث العمراني و المعماري.
- عمليات الترميم مست أجزاء صغيرة كالمساجد، وربما المداخل، في حين أهملت البقية مثلما نراه في حالات قصور تماسين، مستاوة...، والسبب في ذلك هي أن المساجد أكثر تماسكا من المباني لطريقة بنائها ولكثرة الأعمدة الداخلية السميكة، وكذا الاهتمام بها منذ وجودها .
- نقص الخبرات في عمليات الترميم، ففي بعض الحالات تم إدخال أشكال ومواد دخيلة عن الواقع الأصلي مثلا في الترميم الأولي لمسجد سيدي علي بن عثمان بتمرنه القديمة، حيث تم إدراج واستعمال البلاط على حافة الجدران وهو الأمر الذي لم يكن أصلا، كما أن الخطوط والزخرفة التي رسمت على الجدران الخارجية لم تستعمل بالمنطقة، وإنما استعملت في مناطق أخرى مثل قصور واد سوف وبهذا فإننا نبتعد عن المفهوم الحقيقي للترميم .



الصورة رقم 04: واجهة قصر تمرنة القديمة بعد ترميمه المصدر: الباحث 2018

- عدم وجود مخططات دقيقة للقصر، كما ان بعض المخططات المنجزة حديثا لا تطابق الأصل، لهذا ابتعد الترميم عن هدفه الحقيقي.
- انه لاستمرارية القصور يتطلب عملية ترميم مستمرة خاصة وانه عرضة للظروف المناخية، ومن جانب اخر البعض الاخر غير ماهول بالسكان، ولا تحت حراسة دائمة، ما جعل منها عرضة لتخريب الاشخاص غير الواعين بأهميتها، ولاعظائها مكانة يستوجب علينا بعث الحياة فيها من الجديد، طبعا ليس باستعمالها كمساكن من جديد، ولكن يمكن استغلالها في عدة جوانب، وخاصة ادراجها ضمن الركائز السياحية بالمنطقة، من اجل ذلك تولدت العديد من الجمعيات التي تهتم بالقصور، لوعيتها بارتباطها بماضي المنطقة، وهي تكافح من اجل استمرائها، وذلك عبر السعي الى الحفاظ على ما تبقى منها على الاقل، كما تقوم بجمع مختلف المعلومات عنها لارشفتها، ليس هذا فقط بل تعمل على توجيه السواح داخلها، من جهة اخرى يمكن للاعلام ان يلعب دورا مهما في التعريف بها وابرار اهميتها بما يستقطب السواح اليها، وهو ما اخذ يبرز من خلال الرحلات الثقافية والتعليمية من شمال البلاد، وكذا من جامعاتها سواء للطلبة او الباحثين.
- استمرارية القصر- يمكن ان تتجسد كذلك من خلال اعادة ترميم ما امكن واستعماله كادارات او متاحف وربما حتى منازل للضيوف بطابع تقليدي، وكذلك بتحفيز الحرفيين التقليديين على اخذ امكان به .
- من الناحية الهندسية يمكن استمرار القصر- من خلال الاستلها من تصاميمه في بناء الاحياء الجديدة وهذا ما يحتم مراجعة الادوات العمرانية المنتهجة في البلاد وجعلها أكثر مرونة بما يتيح لها بناء توسعات حديثة تحاكي ارثها الحضري القديم ولو في شكلها العام.

11- الخلاصة

إن ترميم القصر يمكن من دراسة هذه الأنسجة وكذا المحافظة على تاريخ المنطقة، كما انه يمكن أن يشكل إحدى الإمكانات السياحية والذي يدعمه المواقع المختلفة فأحيانا تتوسط الأنسجة العمرانية ومرات أخرى وسط الواحات . كما يمكن بعث بعض الخدمات والوظائف وربما حتى المهن التقليدية كون بعض القصور غير أهلة بالسكان وهو ما يتيح دعمها بوظائف مثل حرف تقليدية.

يبدو أن القصر لا يختلف في جوهر تصميمه عن المدينة العربية لهذا قد يشكل الاهتمام به من إعادة ترميمه مسرحا ونموذجا للمدن العربية بالجزائر ويكون مرآة لها، في حين مكنت بعض الدراسات من الأخذ ببعض التصاميم وإعادة ترجمتها في البني الحديثة مثل ما نجده بغرداية، ادرار، ورقلة....

يبدو ان اهتمام السلطات المعنية بأنسجة القصور جاء متأخرا نتيجة الاهتمام بالسياسات الإسكانية المستعجلة والتي انتهجتها البلاد عقب الاستقلال في ظل الانفجار السكاني وكذا قدم الحضارة السكنية، ومن جانب آخر الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية التي عرفتتها البلاد في السنوات السابقة زاد في الأمر، إلا أن توجه السلطات المعنية إلى سياسة التنوع الاقتصادي أدى إلى الاهتمام بالسياحة، في هذا المنظور جاء الاهتمام بالقصور والمناطق المتواجدة بها كأحد الدعائم السياحية في الجنوب الجزائري، كما برزت عمليات تهدف إلى إعادة إحياء مثل هذه الأماكن بالرغم من حالتها الفيزيائية المتدهورة.

ان تصميم القصر يعد موروث عمراني بالنسبة للجنوب الجزائري وهو يتطلب عمليات ترميم سريعة لإدراجه في الخريطة السياحية، كما يتطلب عمليات توثيقية ووضع مخططات تصميمية وجمع مختلف المعلومات المتعلقة به.

المراجع العربية

- 1- عبد الرحمن ابن خلدون: " تاريخ ابن خلدون " بيت الأفكار الدولية، سوريا، 2004.
- 2- عبد الباقي إبراهيم: " التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة " مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية مصر 1968.
- 3- ابراهيم بن يوسف: " اشكالية العمران والمشروع الاسلامي " مطبعة ابو داود، الجزائر، 1992.
- 4- عبد القادر بوبابة " حكم بني جلاب بمنطقة واد ريغ " الطبعة الاولى، الامال للطباعة، الوادي، 1998.
- 5- عبد الحميد قادري: " التعريف بواد ريغ " منشورات جمعية الوفاء للشهيد. الملتقى التاريخي الثالث تفرت 23-24 أبريل 1998.

REFERENCES

- [1] Côte Marc, Signatures sahariennes, terroirs et territoires vus du ciel. Aix-en Provence : Presses Universitaires de Provence, 2012.
- [2] Largeau Victor, Le Sahara Algérien, les déserts de l'erg, Paris, Hachette ,1881.
- [3] Échalier Jean-Claude, Essai sur l'habitat sédentaire traditionnel au Sahara Algérien, Paris, IUP, 1968.
- [4] Bouvilloise brigol. Claude Nesson. J Vallet ; Oasis du Sahara Algérien, Institut Géographie national paris 1973.
- [5] Abderrahmane Moussaoui, Espace et sacré au Sahara : Ksour et oasis du Sud-ouest algérien, Paris, CNRS, 2002.
- [6] Bisson Jean, Pays de Ouargla et M'Zab : emploi, urbanisation, régionalisation au Sahara Algérien, Cahiers de l'aménagement de l'espace, 1979.